بسم الله الرحمن الرحيم

تأمّلات في الواقع (16)

مشكلة الهجرة

زعم وزير خارجية إيطاليا بأن 300 ألف ليبي قد ينزحون إلى إيطاليا بسبب الحرب في ليبيا !! نقول له : إذا استقرّت الأوضاع في ليبيا فإن جميع الليبيين في جميع أرجاء المعمورة سيرجعون إلى ليبيا ، وبذلك تنتهي مشكلة الهجرة الليبية إلى أوروبا ، فهم لم يهاجروا إلا بسبب القذافي وأمثاله ، وكذا إذا استقرّت الأوضاع في مصر وتونس والمغرب والجزائر ، وستكون أوروبا خالصة للأوروبيين إلى حين .. بعبارة مختصرة : ارفعوا أيديكم عن بلادنا ، تتوقف الهجرة إلى بلادكم فتخلُص لكم حتى نستجمع قوانا ونعدّ عدّتنا فنغزوها ونفتحها بإذن الله ربّنا وربّكم ..

تجميد الأموال !!

سويسرا تقول بأنها سوف تجمّد قرابة 650 مليون دولار من أموال القذافي !! إذا كان القذافي عنده 131 مليار دولار فأين البقية !! قالوا في دبي !! هل تجمّد دبي بقية أموال القذافي أم تكتفي بتجميد 560 مليون دولار كما فعلت

سويسرا !! 131 مليار دولار تكفي للإنفاق على جميع المسلمين في جميع الأرض لسنة كاملة ، هذا عدا الثروة التي عند كل عائلة القذافي والتي قدرها البعض بـ (257) مليار دولار ، وهذا المبلغ يعادل ميزانية الصومال لـ 300 سنة ..

أفضل وظيفة على وجه الأرض ..

لعل أفضل وظيفة على وجه الأرض هي : حكم دولة عربية ، فالرئيس العربي له حق امتلاك جميع مقدرات البلاد ، وإذا حدث انقلاب عليه – لا قدّر الله – فإنه يخرج من البلاد – أو يبقى فيها – وفي رصيده عشرات المليارات من الدولارات ، وهذا إما أن يكون : نهاية خدمة ، أو تكون أموال التقاعد المبكّر (بعد ثلاثين أو أربعين سنة في الوظيفة) !! وهناك الآن وظيفتين شاغرتين في مصر وتونس ، وربما أخرى في ليبيا قريباً بإذن الله ..

ماذا يحدث في ليبيا !!

لماذا لم يخرج القذافي إلى الآن !! هناك احتمالات كثيرة ، منها :

– أن الدول الأوروبية أمرته بعدم الرحيل لأنهم لم يجدوا له بديل بعد ..

– أو أنها شجّعته على قتل الليبيين ومنعت جميع الدول العربية من مساندة الشعب الليبي حتى ييأس الليبيون من الجميع ويطلبون من الأوروبيين والأمريكان التدخل عسكرياً فيكون الإحتلال لليبيا برضى الشعب الليبي ..
– طبعا لا ننسى الحقد الصليبي على المسلمين : فقتل القذافي للمسلمين في ليبيا يسرّ عين كل ناظر صليبي ويهودي وحاكم عربي يريد إجهاض ثورات الشعوب حتى لا تنتقل العدوى إلى كرسيّه ..
– أو أن الدول الأوروبية تريد تفتيت ليبيا – كما فعلت في السودان – وذلك عن طريق زرع الفتن والحزازيات بين القبائل الليبية ، وقد بدأت بوادر هذا الفعل بدخول القنوات الإعلامية الغربية إلى شرق ليبيا ، وهي تعمل الآن ما عملته في أفغانستان من تفريق بين الأوزبك والطاجيك والبشتون ، نفس التصريحات ونفس المكر القديم "فرّق تسُد" ، وذاكرة العرب قصيرة جداً لأنهم نسوا الخطة المُعلنة في عهد بوش لتقسيم بلاد المسلمين الكبيرة إلى دويلات صغيرة ..

ما يجب على الليبيّون فعله :

1- يجب على الليبيين عدم السماح للإعلام الغربي بالتواجد داخل ليبيا لأنه إعلام خبيث غير محايد البتّة ، ودليله أنه : يقول شيئاً في نسخته العربية ويقول عكسه في نسخته

الفرنسية أو الإنجليزية ، وما يقوله باللغة الأعجمية فيه تأليب للرأي العام الغربي على الثورة الليبية !!

2- يجب على الليبيين عدم استدعاء أي قوة أجنبية إلى البلاد ، ورفضهم التدخل الأجنبي بكل أشكاله ، وعليهم بالإعتماد الكلي على مدد السماء {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} ، {أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} ، ونذكّر بأنّ الأمريكان دخلوا الكويت "لتحريرها" من صدّام ولم يخرجوا منها إلى الآن ، بل بنوا فيها قواعد عسكرية وفي قطر والبحرين والإمارات وبلاد الحرمين ، وقالوا بأنهم "سيحررون" أفغانستان من طالبان ، و"سيحررون" العراق من صدّام ، ولا زالوا في تحريرهم لتلك البلاد حتى يخرج الناس عليهم للمطالبة بوقف "التحرير الأبوغريبي" اللعين ..

3- يجب على الليبيين إسراع الدخول إلى سبها وسرت وطرابلس قبل تدخّل القوى الأجنبية ، والقبض على القذافي وأبناءه وإعدامهم فوراً ..

4- يجب على الليبيين إقامة مجلس أعلى للبلاد مكوّن من كبار قادة الجيش ورؤساء القبائل والعلماء ، ويتم اختيار من يصلح لإدارة البلاد ، وهذه خطوة مهمة يجب اتخاذها سريعاً قبل فوات الأوان ..

5- يجب على الليبيين تسليح الشعب بالأسلحة الخفيفة والمتوسطة من مخازن الجيش تحسباً لأي تدخّل أجنبي

وتحقيقاً لقوله تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ} ، ولا ينبغي الإستماع لمربّي الحمام : فالسلاح بيد الرجال سُنّة نبويّة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ..

6- يجب على الليبيين معرفة أن العمل لم يكتمل بعد ، وأن الإحتفال بالنصر لا يكون إلا بعد تطهير البلاد من فلول المرتزقة وعصابة القذافي ، وأن الكرامة غالية ، وقديما قال الشاعر : لا يسْلم العرْضُ الشَّريف مِن الأذى ... حتى يُراق على جوانبه الدَّمُ .

7- يجب على الليبيين التحكم في إعلام البلاد ، وعدم الإعتماد على الإعلام الخارجي ، وعليهم الإستعانة بأهل الخبرة الإعلامية داخل ليبيا ليوصلوا صوت الحق إلى خارجها ..

8- يجب أن يعلم شيوخ القبائل الليبية بأن مجد الآباء قد يمحوه رعونة الأبناء ، ومن أراد لقبيلته المجد فليكتبه الآن بمداد الدم على صفحات المعارك ، فالتاريخ لا يُكتب بالحبر ، وليس في التأريخ ورق .. ليعلموا بأنه من تأخّر اليوم فإن التأريخ سيؤخّره ، ومن تقدّم : أثبت تأريخ أجداده وقدّمه ..

ثورة مصر وتونس !!

أكثر من عشرين مليون مصريّ خرجوا ليحملوا حسني على طيارة خاصة مريحة من قصره في القاهرة إلى مصيفه الفارِه في شرم الشيخ !! ملايين التونسيين تظاهروا ليحملوا ابن علي في طيارة خاصة إلى جدّة ويُقيموا صديقه الغنوشي على سدّة الحكم !! في مصر : الوزراء هم هم لم يتغيروا ، والسجناء لا زالوا في المعتقلات يُعذّبون ، والشرطة والمخابرات وأجهزة الأمن رجعت فاعلة من جديد ، وأموال الدولة لا زالت في يد عصابة حسني ، ولا يختلف الحال في تونس .. هل انتهت الثورتان التونسية والمصرية ، أم لا زال في الأمر بقيّة !! هل المجلس العسكري فعلاً يمسك بزمام الأمور في مصر !! هل هو الغنوشي أم فرنسا !! هل اقتنعت الجموع بجدوى المظاهرات السلمية !! هل إلغاء قانون الطوارئ وإخراج السجناء السياسيين يحتاج إلى أكثر من جرّة قلم !! ألا يوجد في مصر كلها غير أحمد شفيق ، وفي تونس غير الغنوشي !! هل عدموا الرجال !! مصر بلد الكفاءات يحكمها اللاكفاءات !! هل كانت فعلاً ثورة لإسقاط النظام ، أم أن الأمر انقلب فأصبح : نظام يُسقط ثورة !!

أمر خطير للغاية !!

قال القذافي في خطابه الأخير بأن "على الشعب الليبي أن يطيع ولاة الأمر ، ولا ينبغي للشعب أن يتبع ابن لادن أو يستمع له" !! هذا أمر غاية في الخطورة ولم نكن نتصوّره !! رئيس دولة جامي !! إنا لله وإنا إليه راجعون .. ألجأناهم إلى التقوقع تحت حذاء ابن سعود ، فخرج علينا هذا في ليبيا !!

أمر غريب !!

في ليبيا : ينفي المتظاهرون – وبشكل علني ، وحرص شديد – على أنهم لم يشكلوا إمارة إسلامية في الشرق .. وفي مصر يهتف الجميع بأنهم لا يريدون تحكيم الشريعة الإسلامية ، هذه التصريحات هي رد على "إتهامهم" بذلك !! صار الحكم بما أنزل الله تهمة يتبرأ منها الجميع !! الأصل في المسلم أنه يموت من أجل إعلاء كلمة الله بتحكيم شرعه ، وصار البعض يستميت في نفي عزمه تحكيم شرع الله !! إن لم تكن هذه هي الذلّة والمهانة للمسلم ، فلا ندري ما تكون !! الجميع يريد طمأنة الغرب وإرضائه حتى لا يغضب الغرب علينا ، والجميع أخرجوا غضب الله وعقابه من حساباتهم !! البعض يقول : فقه مرحلة !! نقول : كان السكوت أولى من النفي ، أما التصريح بقبول الكفر في سبيل إرضاء وطمأنة الكفار فهذا لا يقبله مسلم على نفسه ودينه وأمته .. إذا كنّا

نبرأ إلى الكفار من الحكم بما أنزل الله ، فهل نستحق نصر الله !! بأي حق نقول أن موتانا شهداء ، ونحن نعلن الحرب على الشريعة !!

قلنا فقالوا ، ثم قالوا ما قلنا ، فماذا الآن !!

منذ أن وطئت أرجل المجاهدين العرب أرض الأفغان يقاتلون السوفييت في معركة الحق والباطل ، منذ ذلك الحين أدرك الشباب المسلم المجاهد حقيقة هذه الأنظمة الفاسدة المتسلطة على رقاب المسلمين ، منذ ذلك الحين وحناجر قادة الجهاد بحّت تحثّ شباب الإسلام على كسر جدار الخوف وأخذ حقوقهم بقوة سواعدهم وعزائمهم .. منذ ذلك الحين بدأت الحروب الحكومية ضد أهل الحق يسفّهون رأيهم ويزهّدون الناس في أفكارهم ويسلّطون عليهم أدعياء العلم والفكر والفهم الذين أناخوا لهم ظهر الإعلام يمتطونه ليبثوا سمومهم في عقول شباب الأمة فيقتلوا البقية الباقية من الغيرة والإحساس بالكرامة ..

كانت البداية يوم أن أعلن الشيخ المجاهد عبد الله عزام رحمه الله : كفر طواغيت العرب الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، والذين يوالون أعداء الله ويعادون أولياء الله ، ويغتصبون خيرات بلاد المسلمين تحقياً لشهواتهم ونزواتهم الحيوانية ،

ويهتكون أعراض الرجال والنساء في معتقلاتهم وسجونهم السرّيّة : حتى يركّعوا لهم كل واقف ، ويسجُد لهم كل جالس ، ولم يستطيعو إخفاء كل هذا العفن لظهور رائحته الكريهة التي أزكمت أنوف أهل النخوة والغيرة .. هذا الإعلان العزّامي كان صدى تقرير سيّد أقطاب مجاهدي الطواغيت في زمن الركون إلى الظلم ، تلك السبّابة التي لم تكتب رسالة استرحام لصنم لأنها تُشير إلى الله بالوحدانية ..

كنا نقول بأن القذافي وحسني وابن علي كفار مرتدون ، وكانوا يَسِموننا بالتكفيريين !! كنا نقول بوجوب الخروج على هؤلاء لردّتهم عن الدين ، فكانوا يسمّوننا "خوارج" !! كنا نقول بضرورة أخذ زمام المبادرة والخروج إلى الشوارع والإستيلاء على البلاد بالقوة ، فكانوا يقولون بأننا "دعاة فتنة" !! خالفْنا حكماء القوم وعلمائهم فيما ذهبوا إليه من حُلولٍ سطحية وترقيعات جانبية فقالوا بأننا "فئة ضالة" !! هل هذه الصفات تنطبق الآن على أهل مصر وتونس وليبيا والجزائر واليمن والأردن والمغرب وموريتانيا والعراق وغيرها من بلاد الإسلام !! هل ضلَّ كل هؤلاء وأصبحوا خوارج تكفيريين ودعاة فتنة !! لماذا يكون الجهاد الآن واجباً ، ومن قَبْلُ : فتنة وخارجيّة !! لماذا يكون قتل الحاكم اليوم : فرض ، وبالأمس : ثامنة السبع الموبقات !!

كان كلامنا – ولا يزال – له مرجع واحد ، وأصل واحد ، ومصدر واحد : شريعة ربنا وهدي نبينا صلى الله عليه وسلم .. وكان غيرنا متقلباً في مواقفه ، متذبذباً في آرائه ، يحاول إمساك العصى من المنتصف ، ويحاول إرخاء حبله بالحكومات إذا شدّت ، وشدها بالشعوب إذا أرخت ، بعضهم يتقلّب تقلب الحيات ، ويبدل جلد الحرباء كل ساعة يلهث وراء مصالحه الشخصية الآنية ، لا دين ولا أخلاق ولا قيم ولا حياء ولا خجل !! كم رأينا من متعالم يهتف اليوم في الجموع : الثورة الثورة .. الجهاد الجهاد ، وقد كان قبل أيام يسبّح بحمد حاكمه ويقدّس له !!

إن من سنة الله تعالى أن يُعلّم الناس تفسير كتابه في واقعهم ، ولعل ما يحدث الآن من تغيرات وتقلبات في الأقوال والأفعال والمواقف من أناس لا ثوابت عندهم ، هي تفسير الآيات التي جاءت في سورة النساء محذّرة المؤمنين من صنف كريه قبيح من المنافقين ، قال تعالى {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} (النساء : 141) كانوا قبل ساعات يهتفون : باروح بالدم نفديك يا "فلان" ، وبعد الإطاحة به

هتفوا : الشعب يريد اسقاط النظام ، ولو قدّر الله ولم تنجح هذه الثورة : للَعنوا أهلها وسجَدوا للحاكم شكرا ..

لقد توعّد ربنا جل وعلا هذا الصنف من الناس في بداية الحديث عنهم في سورة النساء فقال {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} (النساء : 138) ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذكر صفاتهم وتذبذبهم في المواقف وفقاً للغالب {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} (النساء : 145) لماذا كل هذا الوعيد الشديد !! لأن هؤلاء المنافقين {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً} (النساء : 143) ، وكما قال نبينا صلى الله عليه وسلم "آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان" (متفق عليه) فقالوا قبل الثورة وكذبوا ، وتكلموا بعد الثورة فكذبوا ، ووعدوا الحاكم قبل الثورة بالنُّصرة فأخلفوا ، وأُئتُمنوا على العلم والإعلام فخانوا ، فاستحقوا بذلك العذاب الأليم لأنهم في ضلال مبين ..

بيْن هذه الآية وتلك من تحقيق لعقيدةٍ من أعظم عقائد الإسلام وأجلّها – عقيدة الولاء والبراء – كان التقرير الإلهي بأن العزة لله {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِّ جَمِيعًا} (النساء : 139) ، وأن الكفار أعداء يستهزؤون بالقرآن ويكفرون بالإيمان فلا

ينبغي الركون إليهم ولا الجلوس معهم {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} (النساء : 139 – 140) ، ثم جاء الأمر الإلهي الواضح الصريح للمؤمنين بضرورة المفاصلة بينهم وبين الكافرين ، وأن من لا يفاصل يقع في دائرة العقوبة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} (النساء : 144) .. قال السعدي رحمه الله : "أي : حجة واضحة على عقوبتكم . فإنه قد أنذرنا وحذرنا منها ، وأخبرنا بما فيها من المفاسد . فسلوكها – بعد هذا – موجِب للعقاب" (انتهى) ، وقد قال تعالى قبل هذه الآيات في سورة النساء {سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ...} (النساء : 91) ، وجملة الأوصاف الربانية لهؤلاء المتقلّبين الذين ليس لديهم موقف صريح واضح من الأحداث ، أنهم : أهل نفاق وضلال وتذبذب وفتنة وارتكاس وكفر ، والعياذ بالله ..

كم رأينا ، وكم : مِنْ أناس كانوا يملؤون الدنيا صياحًا وعويلاً يهتفون باسم : القائد الأعظم ، والمحارب المُلهم ، العبقريّ الأوحد ، حامي حمى الإسلام ، وباني نهضة الأنام

، الشيخ الملك الأمير الحاكم الرئيس السلطان القائد الهُمام ، ويهتفون بأنظمة : القيادة الحكيمة ، والقيادة الرشيدة ، والنظام الديمقراطي ، والنظام العادل ، بل والخلافة على منهاج النبوّة ، ثم بعد كل هذا أصبح هؤلاء الحكّام في عشية وضحاها : طغاة خونة سارقين لأموال الناس متفرعنين سفهاء حمقى مدمّرين للبلاد معذّبين للعباد ، فيالله ما أقل حياء هؤلاء وما أجرأهم على الكذب وما أقبح علانيتهم ، فكيف بسرائرهم !!

قلناها من قبل ، ونقولها الآن : جميع حكام الدول العربية كفار لسببين رئيسين :
أولاً : عدم تحكيمهم لشرع الله
ثانياً : موالاتهم لأعداء الله
ناهيك عن سفك الدماء وانتهاك الأعراض وتحليل الحرام وتحريم الحلال وأخذ الأموال واغتصاب الأراضي وتدمير البلاد ونشر الفاحشة فيها وإفساد الأجيال ونشّر الأميّة بينها ، فالخروج على هؤلاء واجب على كل قادر ، ومن لا يقدر فعليه الإعداد ، ولا يجوز إبقائهم في سدة الحكم في بلاد الإسلام ، وحكمهم القتل لردّتهم عن الدين ، ومن أعجبه كفرهم وهو يعلم كفرَهم فهو كافر مثلهم ، ومن أعانهم على كفرِهم ومكّنهم من تحكيم غير شرع الله أو ساندهم في

موالاتهم لأعداء الله فهو على خطر عظيم ، ومن مات وهو يدافع عن هذه الحكومات الكفرية فميتته جاهلية ، ومن خرج عليهم يريد إزاحتهم حتى يُحكَم بشرع الله فهذا نرجو له الشهادة ، ومن خرج عليهم لسبب غير إعلاء كلمة الله فقد اضاع دنياه وآخرته ، ومن خرج دفاعاً عن بلاد الإسلام وأموال المسلمين وأعراضهم ودمائهم فهذا في سبيل الله ، إن شاء الله ، ومن خرج لإقامة نظام غير النظام الإسلامي – كالديمقراطية أو الإشتراكية أو دولة مدنية – فهذا ليس في سبيل الله ، والله تعالى جعل القتال صنفين فقال {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ} (النساء : 76) فهذان صنفان لا ثالث لهما ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" (متفق عليه) ، وقال "من قاتل تحت راية عمية ، يغضب لعصبة ، أو يدعو إلى عصبة ، أو ينصر عصبة ،فقُتل ، فقتلة جاهلية " (مسلم) وفي رواية "عصبية" بدل "عصبة" ، وكل امرء حسيب نفسه ، والله يعلم السرائر {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} (مريم : 96) ..

رحم الله الإمام مالك حيث قال "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أوّلها" ، فأوّل هذه الأمة جهاد في سبيل الله ضد الظلم والكفر والطغيان ، ولن تصلح هذه الأمة ما لم ترجع

إلى دينها ، كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد : سلّط الله عليكم ذلّاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" (أبو داود ، وصححه الألباني) .

مرة أخرى :

نعيدها ونكررها ونقولها ثانية ونعلنها إعلاناً بعد إعلان وتصريح بعد تصريح وبيان بعد بيان : الجيش المصري لم – وليس – ولن يكون محايداً ما دام من اختارهم حسني على رأس هذا الجيش .. اسئلوا يا أهل مصر "محمد الطنطاوي" : من قتل "سعد الدين الشاذلي" في بداية الثورة !! لا الحريري ولا كندي ولا باقر الصدر يساوون تراباً في حذاء الشاذلي .. لا نقول الجيش كله ، ولكن نقول : الذين عيّنهم حسني وأسرع في ترفيعهم ليبلغوا هذه المناصب في وقت قصير : لا ينبغي الوثوق بهم .. لم يكن في مصر من يزاحم كبار قادة الجيش غير "سعد الدين الشاذلي" الذي عُرف بإخلاصه لوطنه واحترام سائر أفراد الجيش له وتقديرهم لمواقفه ، فهل مات حتف أنفه لتكون تلك الجنازة المهيبة في ذروة الثورة ، أم يتقرر المثل المصري على الطنطاوي وزمرته : "يقتل القتيل ويمشي في جنازته" !!

عمر المختار ..

هل غريب أن يختلف النسّابة في نسب هذا الأسد الهزبر ، فبعضهم يقول أنه من بني هلال ، وبعضهم ينسبه إلى قريش !! أقول : ليس هذا غريباً ولا ذو بال ، فمثل هذا الرجل يبتدئ نسبه به ، وكم من نسيب أبطأ به عمله فلم يُسرع به نسبه .. عاش حُرّا وماتَ رجلاً ، وبقي ذكره واندرس ذكر عدوّه الذي شنقه بعد تكبيل يده ، فكان للشيخ الشاعر حسين الاحلافي تصوير جميل لذلك المنظر المهيب :

أمِنُوا يمينك وهي موثَقة ولو...طَلُقت يمينك وامتطيتَ حِصانا

ورأوا سلاحك مُصْلتا لتأخّروا...وتهيّبوك وغادروا الميدانا

لقد أحيا عمر المختار بجهاده أمّة كاملة ، وزرع فيها بذور العزة التي سقاها بدم الحريّة فأنبتت نخلة الكرامة في واحة الجبل الأخضر وعلى رمال صحراء سرت والصحراء الكبرى ، وكأننا نرى رطبها الجنيّ يتساقط علينا في شتاء ملتهب على غير العادة :

دمك الطريق فما تقول قصيدة...أنت الذي نسج الخلود قصيدا

جئتَ القبورَ ونحن في أعماقها...فأريتَها المتحدّيَ الصِّنْديدا

ولله در أحمد شوقي حينما نعى هذا الجبل الأشمّ ، وكأن الشاعر يعيش بين جنباتنا اليوم ويحضر لحظات ثورة أبناء المختار وهم يتقاطرون على الهيجا كأنّه أسْدٌ ضارية ينهشون بأنيابٍ – قُدَّت من جبل صوّانٍ – أجسادَ عملاء الطليان الجدد :

يأيها السيف المجرَّد بالفلا ...يكسو السيوف على الزمان مضاءَ

تلك الصحارى غِمْدُ كلِّ مهنَّدٍ ...أبلى فأحسن في العدوّ بلاءَ
خُيّرتَ فاخترت المبيت على الطَّوى ...لم تبْنِ جاهاً أو تلُمَّ ثراءَ
إنّ البطولة أن تموتَ من الظَّما...ليس البطولة أن تَعُبَّ الماء
بطلُ البَداوةِ لم يكن يَغْزو على..."تَنْكٍ"، ولم يَكُ يركبُ الأَجواءَ
لكنْ أَخو خَيْلٍ حَمَى صَهَواتِها...وأَدَارَ من أَعرافها الهيجاءَ
الأُسْدُ تزأَرُ في الحديدِ ولَنْ ترى ...في السِّجنِ ضِرْغامًا بكى اسْتِخْذاءَ

ثم يختم شوقي بأبيات نداء لأبناء المختار على اختلاف قبائلهم وأعراقهم وأقطارهم ، يخاطب ثورة الشباب ويستنهضهم لأداء واجبهم في الدفاع عن حرماتهم ، وخوض غمار الحرب نيابة عن آبائهم :

يا أَيُّهَا الشعبُ القريبُ ، أَسـامعٌ... فأَصوغَ في عُمَرَ الشَّـهِيدِ رِثاءَ

أَم أَلْجَمَتْ فاكَ الخُطوبُ وحَرَّمت ...أُذنَيْكَ حينَ تُخاطِبُ الإِصْغاءَ
ذهب الزعيمُ وأَنتَ باقٍ خالدٌ...فانقُد رِجالَك، واخْتَرِ الزُّعَماءَ
وأَرِحْ شيوخَكَ من تكاليفِ الوَغَى ...واحْمِلْ على فِتْيانِكَ الأَعْباءَ

وبشّر الصابرين ..

نعيد نداء شوقي بصيغة أجمل ، وعبارة أرقى ، وكلام أفصح ، وبيان أوضح ، ولهجة أصدق ، وبحقيقة لا تقبل الشك ويقين لا يخالجه تردّد ، فنقول لإخواننا في ليبيا الذي لا زالوا يحومون حول العزيزية ، وفي أزقّة طرابلس ، ولإخوانهم خارج طرابلس : {ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (المائدة : 23) فهؤلاء الجبناء {لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ} (الحشر : 14) والعالم شهد بأن القذافي مجنون ، ووالله {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ} (الحشر

: 13) نعم : لا يفقهون ولا يعقلون ، فلا تغرّنّكم هتافات وصيحات الأُجراء التي أخذوا أجرها دولارات ، فحالُ هؤلاء – المنتفعين الإنتهازيين الوصوليين – مع القذافي وأبنائه : كما وصف ربّنا تعالى مَن قبلهم {لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لاَ يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ} (الحشر : 12) ..

فيا معاشر أهل الإيمان ، يا حملة القرآن : حان وقت الإمتحان {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (التوبة : 16) ، {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} (محمد : 31) ، {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ} (البقرة : 214)

أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ
أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ
أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

والله أعلم .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم ..

كتبه

حسين بن محمود

21 ربيع الأول 1432هـ